التأثير الاقتصادي الأندلسي في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

The economic impact of Andalusian in The city of Constantine during The ottoman period

رفيق شلابي، طالب دكتوراه

Rafik chalabi, Doctorant

جامعة معسكر

University of Mascara

تاريخ الإرسال:2021/03/16 تاريخ القبول: 2021/05/26

ملخص:

الأثر الأندلسي في مدينة قسنطينة لا يزال حاضرا من خلال العديد من العائلات المنحدرة من أصول أندلسية وكان لعامل هجرة الأندلسيين دور في ذلك فاستوطنوا بها وأسهموا في مختلف مجالات الحياة ونشروا أنماط حضارتهم وعاداتهم بين أوساط المجتمع القسنطيني.

بالإضافة إلى ذلك جسدت الهجرة الأندلسية الى مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ازدهارا اقتصاديا. فاستطاعوا طرق أبواب معظم الحرف فاهتموا بالجانب الزراعي وطوروه، كما أدخلوا العديد من المهن والحرف ومختلف الصناعات حتى صارت حكرا عليهم خاصة فئة اليهود منهم فأصبحت بفضلهم أكثر تطورا لدقتها وجودتها.

الكلمات المفتاحية: الأندلسيون، الاقتصاد، الحرف، الصناعات، قسنطينة، العهد العثماني.

Abstract:

Andalusian influence in the city of Constantine is still present through many families of Andalusian origins, and the Andalusian immigration factor had a role in that, so they settled in it and contributed to various areas of life and spread the patterns of their civilization and customs among the circles of the Constantinian community.
In addition, during the Ottoman period, Andalusian immigration to the city of Constantine provided economic prosperity. They were able to knock on the doors of most crafts, taking care of the agricultural side and developing it.

keywords: Andalusian, economic, crafts, Industries, Constantine, the ottoman period.

.

1. مقدّمة:

استقبلت مدينة قسنطينة كغيرها من المدن الجزائرية جماعات هامة من الأندلسيين وذلك بالموازاة مع الوجود العثماني بالجزائر، فالبعد الحضاري الأندلسي في مدينة قسنطينة واضح المعالم حيث نلمسه في العديد من الجوانب. وقد عملوا على إثراء الحياة الاجتماعية والاقتصادية وفي جميع المجالات.

ونظرا للأهمية التي يكتسيها الموضوع ولفهم تطورات الهجرة الأندلسية إلي مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني وتأثيراتها الاقتصادية علي المجتمع القسنطيني يمكننا طرح التساؤلات التالية: فيا ترى ماهي العوامل التي ساعدت على استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى مدينة قسنطينة ؟ وما هي مظاهر تأثيرهم في الجانب الاقتصادي ؟

2. الهجرة الأندلسية إلى مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني: الأسباب والدوافع.

تزايدت الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب الأوسط بعد سقوط غرناطة سنة (898هـ/1492م)، بعد أن تمادى حكام اسبانيا في التنكيل بالأندلسيين وتزايد عددهم إثر صدور قرار الطرد النهائي في حق الأندلسيين سنة (1018هـ/1609م)، أماعن أسباب اختيار المغرب الأوسط ومدينة قسنطينة تحديدا، وذلك راجع لعدة أسباب وعوامل[1]، ولقد كان الأندلسيون يختارون الاستقرار من بين مدن المغرب الأوسط عواصمه العلمية والسياسية أكثر من غيرها ما توفره هذه المدن من فرص الاحتكاك بالعلماء من جهة وأعيان ووجهاء الدولة والاستفادة من مزايا لسلطة المتمثلة في المناصب السامية[2]. ففي المقابل استقبلت مدينة قسنطينة هي الأخرى جماعات هامة من الجالية الأندلسية، بالنظر لبروز سمعة مدينة قسنطينة الطيبة مند القدم من المؤكد أن تكون جماعات أندلسية هامة قد حلت بقسنطينة موازات مع الوجود العثماني بالجزائر قادمة من المدن الساحلية كعنابة وجيجل ومدينة القل[3]، التي كانت تابعة إداريا إقليم قسنطينة خلال العهد العثماني ويذكر مارمول كربخال في كتابه وصفا إفريقيان إذ يقول:" وفي المدينة أكثر من ثلاثمائة من سكانها من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة والأندلس ومن أهل الثغور ومن مملكة بلنسية وتزداد هذه المستوطنة يوما بعد يوم لأن البلد خصب كثير القمح والماشية وبه جميع أنواع الفواكه كما في أوروبا... ويضاف إلى ذلك أن السكان يكسبون ثروات عظيمة من تربية دودة القز..."[4].

تناقلت الأوساط الأندلسية في قسنطينة أن تواجد الأندلسيون بها؛ كان صدفة لجأوا بها هروبا من محاكم التفتيش في اسبانيا بعد سقوط غرناطة تقاذفتهم الأمواج إلى مدينة القل، وهو ما نقل أحد الأزجال الأندلسية واصفا ظروف الرحلة إلى القل وهذا ما تتناوله الروايات وهو زجل لشخص يدعى عبد المولى أندلسي الأصل، بعنوان:" يا قوم كيف الاحتيال ويقول في مطلعه":

يا قوم كيف الخـل جـفاني
الاحتيال أحمـد ناظـر عيني
أنا نتـبع في الغزال وركبنا على ظهر البحار
من جـيجل خرجنا إلى أن جينا رؤوس لامار
عشية اللي رعى البحر يقدح
وقلعنا بـريح سخية نهار
أكثر الريـح ذاك واشتـدت بنـا الويل
العشية لا موسى في ذا الليل
للقل ماطـقت الدخول حـتى لشطر الليل[5].
والله لا غـيم يـزول
فكنا نـوطيو القلوع

ومن الأسباب الحيوية التي ساعدت في استقطاب أفواج المهاجرين الأندلسيون هي طبيعة البلاد وكذا مناخها المعتدل ومن المؤكد أن بلاد المغرب الأوسط بشكل عام لا يختلف كثيرا من الناحية الطبيعة عن بلاد الأندلس ويوجد تشابه كبير في الطبيعة المناخ[6]. فقد أسهمت عدة عوامل في توجه هؤلاء المهاجرين إليها منها موقعها المميز بالحصانة الطبيعية وخصبة التربة فهي اشبه ببلاد الأندلس، فضلا عن كونها كانت على اتصال دائم بالأندلس، منذ العصور الوسطى والأخيرة[7].

تبين لنا من خلال استعراضنا السابق للوجود الأندلسي في مدينة قسنطينة. وما ترتب على ذلك من قتل وتعذيب حتى الطرد النهائي فاختاروا الجزائر وتفرقوا عبر حواضرها فكانت قسنطينة من بين هذه المدن نظرا للروابط التاريخية ومكانتها وسمعتها منذ القدم.

3. اندماج العنصر الأندلسي في المجتمع القسنطيني:

ولعل أبرز مظاهر التأثير الاجتماعي للمهاجرين الأندلسيين في ايالة الجزائر ومختلف المدن التي استقروا بها كمدينة قسنطينة؛ يتصل خاصة بالتقاليد ومظاهر الحياة اليومية، فإذا انتقلنا إلى مجال العادات والتقاليد سنجد ان الجالية الأندلسية ظلت محافظة على عاداتها وتقاليدها داخل مناطق إقامتها فيهما بينها، لم يكن افراد الجالية الأندلسية ميالون للاختلاط بالسكان الأصليين، ومن المتعارف أن العادات والتقاليد الإسلامية لا تختلف كثيرا من منطقة إلى أخرى سواء في الأندلس أو في بلاد المغرب[8].

فقد حافظ الأندلسيون على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات أو في الأفراح وطرق الطهي ونوعية اللباس والأكل، كما حافظوا على مظاهر مميزة للاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية فقد كانوا يحرصون على ترديد الأناشيد والمدائح الدينية، وأثناء ذلك كانت تقدم مختلف أنواع الأطعمة والحلويات التي تميزت بذوق أندلسي وطابع تركي حافظت ليه العائلات الجزائرية وبما فيها العائلات القسنطينية[9]. فعلى سبيل المثال المأكل يعكس صورة المجتمع وتراثه ومعرفته تكشف جانبا مهما من حياة المجتمع فهو يبين طرق المعيشة كما هو معروف سكنت فئة الأندلسيين مدينة قسنطينة بعد ان أصبح الوجود الإسلامي ببلاد الأندلس مهددا بحركة الاسترداد النصرانية، فقصدها العديد من المهاجرين الأندلسيين

ونقلوا عاداتهم من مأكل وملبس[10]، فالجالية الأندلسية في مختلف المناطق التي استقرت بها أصبحت تشكل عنصرا بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة إذ كان لهم تأثير اجتماعي كبير يتصل خاصة بالتقاليد ومظاهر الحياة اليومية فقد حافظوا على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات أو مظاهر الأفراخ من أعياد ومناسبات[11].

من جهة أخرى فالكتابات التاريخية ترتب الأندلسيين ضمن فئة الحضر بمدن الجزائر العثمانية وقد أنصف "وليم شالر" الحضر الأندلسيين حيث وصفهم سلوكهم باللباقة والمجاملة، ووجدهم في معاملاتهم متمدنين وإنسانيين، ولم يكتشف فيهم التعصب الديني أو الكره للأشخاص الذين يدينون بدين غير دينهم[12].

أما بالنسبة للباس فقط ارتبط عموما بتقاليدهم وأعرافهم التي لازمتهم في حياتهم حسب الظروف وباختلاف الظروف الاجتماعية، فاتسمت الطبقة الراقية بالفخامة من حيث الجودة في حين يغلب مظهر البساطة على شباب العامة[13]، فقد كان الأندلسيون العامة يلبسون الجباب والثياب القطنية والسراويل وكان يطلقون كلمة الغفارة على البرنس، ويرتدون ما يسمى بالمحشاة وهي لباس غليظ وسميك كان يلبس في فصل الشتاء[14].

أما من جهة تأثير الأندلسيون في المجتمع القسنطيني في اللهجة نجد اللسان القسنطيني يتحدث هو الآخر بنفسه عن التأثير الأندلسي، مع وجود بعض التباينات الناتجة عن تأثر قسنطينة بلسان وأساليب نطق الجهات المجاورة، لكن تائها على سبيل المثال هو حرف التاء ذاته المنطوق على الصيغة الأندلسية في جيجل وبجاية ومدينة الجزائر وحتى تلمسان وبعض المدن المغربية كتيطوان وشفشاون، والتي هي أخرى احتضنت جاليات أندلسية بأعداد كبيرة ورغم مضي قرون على وصول أفواج منهم مدينة قسنطينة والامتزاج العميق بين السكان المحليين مازال الأثر الأندلسي البشري حاضرا من خلال وجود عائلات أيبيرية نذكر منها: بن غبريت، أو بن غبريد، وكيموش، التي رجع أنها قد إلى مدينة سيدي راشد من جيجل التي كانت محطتها الأولى بعد الخروج من الأندلس وعائلة بن قانة الشهيرة منذ بدايات العهد العثماني، وميمون المنحدرة من حاخام أندلسي اسلم في القرن 16م، وبن تشيكو وتشيكو، وطبال، وبن طبال، وبن شريف، ومنتوري وسيد وبلقليعة وبن حسين، والوزان، وعجابي وكلها موجودة في مدينة قسنطينة حتى اليوم[15]. لاسيما بعد انتشار الأمراض المجاعات التي أدت إلى هلاك عدد كبير من السكان الأصليين، الأمر الذي ترك الباب أمام الأندلسيين فعمروا المدينة وأعادوا لها الحيا ة[16]

4. التأثير الاقتصادي للأندلسيين في مدينة قسنطينة:

أ/ الأندلسيون والنشاط الزراعي في مدينة قسنطينة:

لقد كان الأندلسيين خبراء في ري الحقول ويعرفون فن تصنيع السكر وإنتاج الرز والحرير وحتى بعض المحاصيل التي لا يعرفها حتى المسيحيون القدماء، ولقد استفاد المسيحيون من خبرة هؤلاء في الزراعة، فقد كان الأندلسيين خبراء متميزين في فن الفلاحة، بحيث انهم على الرغم من عملهم في أراضي أقل خصوبة، فإنهم كانوا أغنى من المسيحيين الذين يزرعون أراضي تزيد في خصوبتها على أراضيهم[17]. فكان أمراء الاقطاع والنبلاء يعارضون دائما طرد المسلمين الأندلسيين لما يلحقه الطرد بمصالحهم، فقد كانوا كعمال نشطين ومخلصين في اعمالهم وكانوا يؤلفون ويشكلون أكثرية العمال الزارعين في البلاد، وطرد المسلمين الأندلسيين من البلاد معناه إخلاؤها من اليد العاملة، وبالخصوص في المجال الزراعي، وبالتالي خراب ملاك الأراضي الذين يعيشون على دخل أراضيهم ومزارعهم[18]، ولم يقتصر دور الأندلسيين امتهانهم للزراعة فحسب، كما كان لهم دور اقتصادي أيضا من خلال مشاركتهم في التجارة والصناعة أيضا[19].

إن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة جعلت منهم نخبة متميزة ونشيطة، بحيث أصبحت مختلف أوجه الحياة في إيالة الجزائر والمناطق التي استقروا بها تكتسي طابعا أندلسيا، يمكن معرفة جوانبه المختلفة في الجانب الاقتصادي الزراعي والصناعي فقد ساهموا بشكل كبير في المجال الفلاحي، فاستصلحوا الأراضي وزرعوا الأشجار المثمرة و الزراعات التي عرف بها واشتهروا بها هي زراعة الخضر والفواكه، حيث نجحوا في تطويرها وتحسين نوعيتها وإنتاجها عن طريق التقليم التطعيم وساعدهم في ذلك معرفتهم الجيدة بطرق الري المنظمة والملائمة[20].

كان الأندلسيون يشكلون عنصرا اجتماعيا ثريا ومهرة في مجالات الزراعة ومحرك الحياة الاقتصادية بفضل نشاطهم، فازدهرت الزراعة والحدائق والبساتين فأدخلوا محاصيل زراعية جديدة، كالقطن في مستغانم، والكروم في عنابة، الحرير في القل التي ازدهرت الحياة الاقتصادية بها، بتوافد المهاجرين الأندلسيين عليها وكانت تابعة لإقليم قسنطينة في العهد العثماني[21]، فقد توافدت عليها هذه الجاليات الأندلسية من بلنسية وقشتالة وإقليم الأندلس في الجنوب الاسباني، فأعادت لمدينة القل فتوتها وحولتها إلى قطب اقتصادي هام في المنطقة الشمالية الشرقية من إيالة الجزائر والتي كانت تابعة إداريا لباليك قسنطينة، بحيث نجحت في تنمية النشاط الفلاحي بها وتحويل منطقة القل إلى إحدى أغنى جهات الشرق الجزائري بالخضر والفواكه وعلى رأسها أشجار الليمون البرتقال والتين، وبالنسبة للباحث بشؤون العائلات الحضرية في المدن الشمالية الشرقية تكون القل قد احتضنت عددا هاما من المهاجرين

الأندلسيين إلى الحد الذي جعلها تتحول إلى خزان ديمغرافي تغدت منه الحواضر القريبة كمدينة قسنطينة[22].

ولقد كان للمهاجرين الأندلسيين دورا كبيرا في تطور النشاط الزراعي في مدينة قسنطينة، بحيث عمل هؤلاء على نقل معارفهم الزراعية إلى المنطقة باستصلاح الأراضي، كما قاموا بغرس الاشجار المثمرة والمتنوعة[23].

فعلى سبيل المثال مدينة قسنطينة اشتهرت بأراضيها الزراعية الخصبة، وهو ما أكده حسن الوزان في كتاباته حول وصف مدينة قسنطينة، اذ يقول في هذا الصدد: " والأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة كلها جيدة خصبة ويبلغ إنتاجها ثلاثين ضعف ما يزرع فيها، وتوجد أيضا في السهل على طول النهر بساتين في غاية الجمال"[24].

أما من جهة أخرى فالإنتاج الفلاحي بإيالة الجزائر فقد اختصت كل منطقة من مختلف مناطق الايالة بإنتاج نوع من المحاصيل حسب ظروفها الطبيعية والمناخية، فعلى سبيل المثال مدينة قسنطينة اشتهرت بإنتاج الحبوب، والتي كانت تمثل محصولا رئيسيا معدا للاستهلاك والتصدير الخارجي. كما ازدهرت البساتين بالمدن الكبرى كمدينة قسنطينة[25]، وهو ما خصه بالذكر هايدو وأثنى بالدور الذي قام به الأندلسيون بقوله: " الحدائق كانت تحيط بالمنازل من كل جانب وكذلك أشجار البرتقال والليمون الأرز، خاصة على أبواب المدن، وكذلك وجود العديد من الأزهار التي تظل مزهرة طوال السنة..."[26].

كما ساهم الأندلسيون في زراعة أنواع الخضار والتي كانت سائدة من قبل بالأندلس منها الفلفل والبطاطا والطماطم، والباذنجان والزعفران والجلبان[27]. لم يكن هؤلاء الوافدون الجدد على الجزائر ليحققوا ما حققوه في هذا المجال لولا التقنيات الزراعية المتطورة التي أتوا بها معهم من الأندلس، من أساليب تلقيح وغراسة وانتقاء البذور وأدوات وآلات لم تكن معروفة في الجزائر قبل قدومهم[28]

ب/ الأندلسيون والنشاط الصناعي والحرفي في مدينة قسنطينة:

كان النشاط الصناعي والتجاري في الجزائر خلال العهد العثماني موجها أساسا لسد حاجات السكان وكذلك في مجال المبادلات مع الخارج قصد الحصول على بعض المصنوعات الضرورية لتدعيم قدرة الجزائر الحربية أو التي تتطلبها الصناعات المحلية، وأهم ما ميز النشاط الاقتصادي هو ارتباطه بالأسر الحضرية، وخاصة الأندلسية التي انت تحتكر اغلب الصنائع الوظائف والمبادلات[29]والحرف التقليدية ويشكلون أغلبية التجار والحرفيين ويمسكون بزمام الجمعيات الصناعية[30].

ويذكر هايدو أن الأندلسيون جميعهم من أصحاب الحرف والصناع أهمهم المتخصصون في صناعة البنادق وكانوا يعملون أيضا بتربية دود القز[31].

اختار هؤلاء المهاجرون الأندلسيون الأمكنة والمناطق التي توافقهم وتسمح لهم للقيام بنشاطاتهم ومهارتهم في

مختلف الميادين، سواء في الصناعة أو الزراعة، وقد أثر الأندلسيون بصناعاتهم المتعددة بفضل مهارتهم الفائقة ونشاطهم في جميع الشؤون، فإذا كانت الجزائر قد استفادت منهم في جميع الميادين الاجتماعية والصناعية والثقافية الأدبية فإن الخسارة التي لحقت الاسبان كانت من أعظم الخسائر في شتى الميادين[32]. أما فيما يتعلق بالصناعات التقليدية بالجزائر العثمانية، فقد عرفت الجزائر معظم الصناعات التي عرفتها أوربا مثل: الدباغة وصناعة الأحذية والنسيج قطنا كان أو حريرا، وصناعة الأسلحة، كما كان صناع النسيج ينتجون الزرابي والبرانس، ففي قسنطينة كان يوجد بها ثلاثة وثلاثين معملا للدباغة، وخمسة وسبعين لصناعة السروج[33].

أما من جهة أخرى، فالنشاط الصناعي في إيالة الجزائر فقد ظل متواضعا لا يتعدى الصناعات المحلية اليدوية وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، فالصناعات المحلية تعتمد في نشاطها على توفير احتياجات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية مثل: صناعة الأغطية الصوفية والبرانس والزرابي والفخار والأدوات الجلدية ومعالجة الأصواف والجلود، وصناعة السروج والجواهر بمدينة قسنطينة، ويرجع الفضل في هذه المصنوعات المحلية المختلفة إلى بعض أسر الحضر والأندلسيين التي توارثت صناعتها وحافظت عليها[34]. امتد نشاط الأندلسيين في الجزائر إلى كافة مجالات الأنشطة الاقتصادية واستطاعوا أن يلجوا أبواب جل الحرف المهنية واحتكروا الاشتغال بها، ويمكن تقسيم الحرف التي اشتغل بها الأندلسيون في الجزائر الى مجموعتين أساسيتين: الحرف الصناعية والتي ارتبطت في بعض جوانبها بالنشاط التجاري، والثانية التي ارتبطت بحرف خاصة بالأعمال غير الصناعية كالحياكة، ومن أهم الحرف الي اشتغل بها الأندلسيون صناعة النسيج، والملابس وحياكتها، واختصت عائلات بصناعة القطيفة وسيطروا بدورهم على مصانع الأسرجة النسيج، والإسكافة والحدادة بتلمسان وقسنطينة[35].

ومن جهة اخرى أوضحت وثائق الوقف الخاصة بسجلات المحاكم الشرعية نشاط الأندلسيين بالجزائر حيث تعطي لنا فكرة عن الصنائع، فقد اتضح أن أصحاب الصناعات الحرفية في الأوساط الأندلسية تتصل أسماؤهم بالألقاب المهنية، مثل الحوكي بن محمد الأندلسي والحداد محمد الأندلسي، والعطار أحمد بن أحمد الأندلسي، وصانع الصابون علي بن عمر الأندلسي، والخياط يحي[36]. ولعل أبرز الحرف التي امتهنها الأندلسيون في الجزائر في العهد العثماني صناعة النسيج والملابس وحياكتها، كما اشتهرت الصناعات الحريرية الأندلسية وكان الجزء الأكبر من هذا الإنتاج يصدر خارج الجزائر[37]. فوجد بمدينة قسنطينة عدد كبير من صحاب الحرف ولاسيما الحدادون، بالإضافة للنحاسين والنجارين الماهرين والخياطين الماهرين، الذين يظهرون مهارة كبيرة في التطريز بالذهب الفضة والحرير وعدد كبير من النساجين، ويحتكر اليهود الأعمال

المتعلقة بالذهب الفضة وهناك أيضا عدد لا بأس به من الدباغين والخبازين[38].

كما عرفت واشتهرت مدينة قسنطينة بصناعة النحاس مذ القدم، ولما نزل المهاجرون الأندلسيون إليها أضافوا إلى هذه الصناعة بعض الأواني كالفانوس والثريا والمزهرية كما ازدادت تطورا في العهد العثماني، وانتقلت هذه الصناعة إلى مدن جزائرية أخرى وابرز الحرفيين المشهورين في قسنطينة في هذا المجال بن شاقر مجذوب، كما ان هناك اسر أخرى اشتهرت بهذه الحرفة، وكان لها إبداع في صناعة السنية والقصعة والطاجين وغيرها فمنذ زمن بعيد وهذه الصناعة تأخذ أشكال زخرفية، وقد اشتهر حي باردوا بهذه الصناعة[39]. ففي مدينة قسنطينة وحدها كان بها عدد الحرف يناهز العشرين، واشتهرت بالصناعات المعدنية خاصة صناعة النحاس والحلي، وتعتبر حرفة الصاغة من أهم واعرق الحرف بمدينة قسنطينة، والحرفة تسمى بالصاغة وتأتي بمعنى الصيغة أي حسن العمل وصياغة الشيء تعني سبكه، كما اعتبرت مدينة قسنطينة من أهم المراكز في صناعة المجوهرات وكانت في العهد العثماني تضم حوالي 200 ناقش للجواهر تزود كامل المنطقة الشرقية للبلاد بالحلي القسنطيني، وكان يمارس حرفة الصاغة في مدينة قسنطينة الجالية اليهودية بصفة كبيرة، وبعض الحضر من سكان محليين وأندلسيين وقد فر بعضهم من اسبانيا[40]، فقد ذكر هايدو: أن حوالي 6 آلاف موريسكي هاجروا من اسبانيا إلى الجزائر ومعظمهم يمتهنون صناعة الأسلحة والجلود، مما تؤكد شهادته على مهارتهم وناشطهم ومساهمتهم الفعالة بتثبيت وتدعيم إيالة الجزائر[41].

لقد توزعت الأنشطة الحرفية لليهود في شوارع مختلفة من مدينة قسنطينة، فكان هناك شارع مخصص للخياطين اليهود المشتغلين بخياطة وتطريز سترات الحرير أو الصوف بالإضافة إلى مهن وحرف أخرى متنوعة أمتهنها يهود مدينة قسنطينة كالتجارة والدهانة وصناعة الأحذية وصناعة المجوهرات وصناعة النحاس، فكانت شوارع مدينة قسنطينة نشطة بالصناع والحرفيين[42].

رغم اندماج الأندلسيين في المجتمع إلا أنهم ظلوا يتميزون بمهارتهم الحرفية والتجارية وهذا ما ساعد غالبيتهم على اكتساب الثروات واحتكار المهن فلم يحد من هيمنتهم على الإدارة سوى جماعة الأتراك والكراغلة، ولم ينافسهم في احتكار الصنائع سوى جماعة اليهود الذين قدموا بأعداد كبيرة مع مسلمي الأندلس ونجحوا في المحافظة على مكانة متميزة بفعل الصنائع والاعمال التجارية التي امتهنوها[43].

زيادة على ذلك احتوت مدينة قسنطينة أكبر الأسواق في الشرق الجزائري؛ فالتجار يأتونها من جميع النواحي محملين بكل أنواع السلع الضرورية التي تحتاج إليها المدينة، وبالإضافة إلى المنتوجات المحلية، هناك السلع المستوردة من تونس حيث كانت القوافل تعود محملة بالأقمشة المطرزة وقد كانت للشاشية التونسية مكانتها في المجتمع القسنطيني[44].

لقد جسدت الهجرة الأندلسية إلى مدينة قسنطينة ازدهارا اقتصاديا امتد نشاطهم إلى كافة مجالات الاقتصاد؛ واستطاعوا طرق أبواب معظم الحرف والصنائع، كما اهتموا بالجانب الزراعي وطوروه ونقلوا معارفهم الزراعية إلى المنطقة باستصلاح الأراضي، كما قاموا بغرس الأشجار المثمرة وإقامة البساتين، كما أدخلوا العديد من الحرف والصناعات.

5. الخاتمة:

توصلنا من خلال هدا البحث إلى مجموعة من الملاحظات العلمية هي:

– مثلت الهجرة الأندلسية الأخيرة بعد سقوط غرناطة أهم حدث شهده مطلع القرن السابع عشر ميلادي بانعكاساته على موازين القوى بين اسبانيا والبلدان المستقطبة للمهاجرين الفارين من محاكم التفتيش وبين الاسلام والمسيحية.

– توافد العديد من المهاجرين الموريسكيين على طول الشريط الساحلي لبلدان المغرب الاسلامي، وقد كان للجزائر حظا وافرا من هؤلاء المهاجرين اثر صدور قرار الطرد النهائي في حق الأندلسيين سنة 1609م فتوالت الهجرات الى مدينة الجزائر وضواحيها بأعداد متفاوتة.

– استقبلت مدينة قسنطينة جماعات هامة من الجالية الأندلسية وذلك بالنظر لبروز سمعة قسنطينة الطيبة مند القدم وذلك موازاتا من الوجود العثماني بالجزائر.

– الأثر الأندلسي البشري في مدينة قسنطينة حاضر من خلال العديد من العائلات المنحدرة من أصول أندلسية، ندكر منها: بن غبريت وعائلة كيمُوش إضافة لعائلة بن قانة الشهيرة مند بدايات العهد العثماني في قسنطينة.

– تأثرت الحياة الاجتماعية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني بعوامل خارجية وكان لعامل هجرة الأندلسيين دور في ذلك فاستوطنوا بها وأسهموا في مختلف مجالات الحياة ونشروا أنماط حضارتهم وعاداتهم بين أوساط المجتمع.

– جسدت الهجرة الأندلسية الى مدينة قسنطينة ازدهارا اقتصاديا فاستطاعوا طرق أبواب معظم الحرف فاهتموا بالجانب الزراعي وطوروه، كما أدخلوا العديد من الحرف والصناعات حتى صارت حكرا عليهم خاصة فئة اليهود منهم فأصبحت بفضلهم أكثر تطورا لدقتها وجودتها.

6. المصادر والمراجع:

بالعربية:

– العربي ايشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

– نعيمة العربي ، التأثير الأندلسي الاقتصادي في الجزائر خلال القرن 17م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2013-2014م.

– الدراجي بلخوض، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16- 17م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2012.

– بن عتو بلبروات، المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال الاندماج الاجتماعي، مجلة المواقف، العدد 4، جامعة معسكر، 2009م، ص ص 75.70.

– بوبة مجاني، مدينة قسنطينة في الفترة الاسلامية دراسة اجتماعية واقتصادية، مجلة العلوم الانسانية، العدد 8، جامعة قسنطينة، 1997، ص ص 53-72.

– ثريا محمود عبد الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92هـ - 625هـ، مجلة كلية الآدب، العدد 102، جامعة ديالي، ص ص 191-218 .

– حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر: محمد جي ومحمد الخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

– حنيفي هيلايلي، الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 25، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2002م، ص ص 324-315.

– خديجة دوبالي، الفكر الديني عند الموريسكيين الأندلسيين خلال القرنسين 16-17م من خلال بعض المخطوطات الألخميادية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بلعباس، 2013-2014م.

– سميحة ديفل ، صناعة الحلي بقسنطينة خلال العهد العثماني، مجلة المواقف، العدد11، جامعة معسكر، ديسمبر 2016م، ص- ص178- 181.

– رفيق خليفي، تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الوسط 8- 16م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات، بإشراف: علاوة عمارة، دار اقرأ، ط1، قسنطينة، 2013م.

– صبرينة الواعر، يهود مدينة قسنطينة من خلال رحلات الفرنسيين ابان القرن 19م، مجلة عصور الجديدة، العدد 18، جامعة وهران، 2015م، ص182.

– صرهودة يوسفي، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2004- 2005م.

– طيبي مهدية، نموذج من العائلة الاندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية القرنين 17 – 18م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر، 2012م، ص ص 179-191.

– عبد العزيز فيلالي، مجمل تاريخ قسنطينة السياسي– العمراني– الثقافي و الاقتصادي، ط م، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2017م،.

– عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705م، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

– عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية إلى المغرب ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، جامعة منتوري– قسنطينة، ديسمبر 2003م، ص ص171-180.

– عبد الواحد دنون طه، دراسات أندلسية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م

– علي احمد كرير، التأثيرات السياسية والاقتصادية للأندلس، في مدينة بجاية خلال القرن السابع هجري، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، العدد4، مصر، 2013م، ص22 ص ص 21-37.

– فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2، دار قرطبة، 2016م.

– فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى، ط1، دار قرطبة، 2011م، ص، ص568، 569.

– قدور عبد المجيد، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، الجزائر، ونتائجها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004-2005م.

– مارمول كربخال، افريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة للنشر، الرباط، 1989م.

– مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر،

– مبخوث بودواية، سي عبد القادر عمر، الهجرة الأندلسية ودورها في تمتين الروابط الثقافية بين مصر والأندلس خلال القرن السابع عشر والثامن الهجريين"، مجلة المواقف، العدد 05، جامعة معسكر، ديسمبر 2010م، القاهرة، 2005م، ص ص315-323.

– محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م.

– مرثيديس غارثيا أرينال، شتات أهل الأندلس، ط1، تر: محمد فكري عبد السميع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص137.

– ميكيل دي ايبالتا، الموريسكيون في اسبانيا والمنفى، ط1، تر: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792- 1830م، ط3، ب ن ت، الجزائر، 2012م.

– ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

– ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، ط2، ب ن ت، الجزائر، 2013م.

– نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

–. فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، تر وتق: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

– سميرة زغيب، المألوف من الأندلس إلى قسنطينة المنشأة والخصوصيات، ط1، دار البعث، قسنطينة، 2009م.

بالفرنسية:

- Digo De Haédo, topographie et histoire générale d'Alger , traduit par : monnereau et Berbruger, Alger, 1870

7. الهوامش:

[1]– زغيب سميرة، المألوف من الأندلس إلى قسنطينة المنشأة والخصوصيات، ط1، دارالبعث، قسنطينة، 2009م، ص95.

[2]– خليفي رفيق ، تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الوسط 8- 16م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات، بإشراف: علاوة عمارة، دار اقرأ، ط1، قسنطينة، 2013م، ص99.

[3]– سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2، دار قرطبة، 2016م، ص257.

[4]– مارمول كربخال، افريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة للنشر، الرباط، 1989م، ص362.

[5]– سعد الله فوزي، صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى، ط1، دار قرطبة، 2011م، ص، ص568، 569.

[6]– قدور عبد المجيد، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، الجزائر، ونتائجها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ، ص140.

[7]– علي احمد كرير، التأثيرات السياسية والاقتصادية للأندلس، في مدينة بجاية خلال القرن السابع هجري، **المجلة العربية للعلوم الاجتماعية**، العدد4، مصر، 2013م، ص22.

[8]– قدور عبد المجيد، الهجرة الأندلسية إلى المغرب ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، **مجلة العلوم الإنسانية**، العدد 20، جامعة منتوري– قسنطينة، ديسمبر 2003م، ص، ص175، 176.

[9]– سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص58.

[10]– مجاني بوبة، مدينة قسنطينة في الفترة الاسلامية دراسة اجتماعية واقتصادية، **مجلة العلوم الانسانية**، العدد 8، جامعة قسنطينة، 1997، ص 58.

[11]– طيبي مهدية، نموذج من العائلة الاندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية القرنين 17 – 18م، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 14، جامعة الجزائر، 2012م، ص 180

[12]– بن عتو بلبروات، المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال الاندماج الاجتماعي، **مجلة المواقف**، العدد 4، جامعة معسكر، 2009م، ص 61.

[13]– دوبالي خديجة، الفكر الديني عند الموريسكيين الأندلسيين خلال القرنسين 16-17م من خلال بعض المخطوطات الأخميادية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بلعباس، 2013-2014م، ص 939.

[14]– ثريا محمود عبد الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92هـ – 625هـ، **مجلة كلية الآدب**، العدد 102، جامعة ديالي، ص 198.

[15]– سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي...، ج2، المرجع السابق، ص، ص 266، 267.

[16]– عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية...،المرجع السابق، ص 175.

[17]– دنون طه عبد الواحد، دراسات أندلسية، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م ، ص243.

[18]– العيدروس محمد حسن، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م، ص162.

[19]– مبخوت بودواية، سي عبد القادر عمر، الهجرة الأندلسية ودورها في تمتين الروابط الثقافية بين مصر والأندلس خلال القرن السابع عشر والثامن الهجريين"، **مجلة المواقف**، العدد 05، جامعة معسكر، ديسمبر 2010م، القاهرة، 2005م، ص280.

[20]–ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، المرجع السابق، ص، ص 49، 50.

[21]– دي ايبالتا ميكيل، الموريسكيون في اسبانيا والمنفى، ط1، تر: جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م، ص280.

[22]– سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي...، ج2، المرجع السابق، ص، ص296، 297.

[23]– بلخوض الدراجي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بايلك قسنطينة من خلال نوازل ابن الفكون خلال القرنين 16- 17م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر، 2012م، ص، ص22، 23.

[24]– الوزان حسن، وصف إفريقيا، ج1، ط2، تر: محمد جي ومحمد الخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص58.

[25]– سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792- 1830م، ط3، ب ن ت، الجزائر، 2012م، ص، ص31، 32.

[26] -Digo De Haédo, topographie et histoire générale d'Alger , traduit par : monnereau et Berbruger, Alger, 1870, p193 .

[27]– العربي نعيمة، التأثير الأندلسي الاقتصادي في الجزائر خلال القرن 17م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2123- 2014م، ص17.

[28]– سعد الله فوزي، الشتات الأندلسي ...، ج2، المرجع السابق، ص112.

[29]– الشويهد عبد الله بن محمد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705م، تح: ناصر الدين سعيدوني، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص34.

[30]– ايشبودان العربي، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر: جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص48.

[31]– مرثيديس غارثيا أرينال، شتات أهل الأندلس، ط1، تر: محمد فكري عبد السميع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006م، ص137.

[32]– نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص61.

[33]– الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص314، 315.

[34]– سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي ...،المرجع السابق، ص، ص33، 34.

[35]– حنيفي هيلايلي، الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء المحاكم الشرعية، **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية**، العدد 25، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، 2002م، ص، ص316، 317.

[36]– حنيفي هيلايلي، دراسات وأبحاث...،المرجع السابق، ص131.

[37] -Haedo, Op.cit, P 495.

[38]–. فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، تر وتق: أبو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص87.

[39]– فيلالي عبد العزيز، مجمل تاريخ قسنطينة السياسي– العمراني– الثقافي و الاقتصادي، ط م، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2017م، ص223.

[40]– ديفل سميحة، صناعة الحلي بقسنطينة خلال العهد العثماني، **مجلة المواقف**، العدد11، جامعة معسكر، ديسمبر 2016م، ص– ص178– 181.

[41]-Haedo, Op.cit , p495.

[42]– الواعر صبرينة، يهود مدينة قسنطينة من خلال رحلات الفرنسيين ابان القرن 19م، **مجلة عصور الجديدة**، العدد 18، جامعة وهران، 2015م، ص182.

[43]– سعيدوني ناصر الدين، ولايات المغرب العثمانية الجزائر، تونس، طرابلس الغرب، ط2، ب ن ت، الجزائر، 2013م، ص، ص225، 226.

[44]– يوسفي صرهودة، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2004– 2005م، ص، ص82، 83.